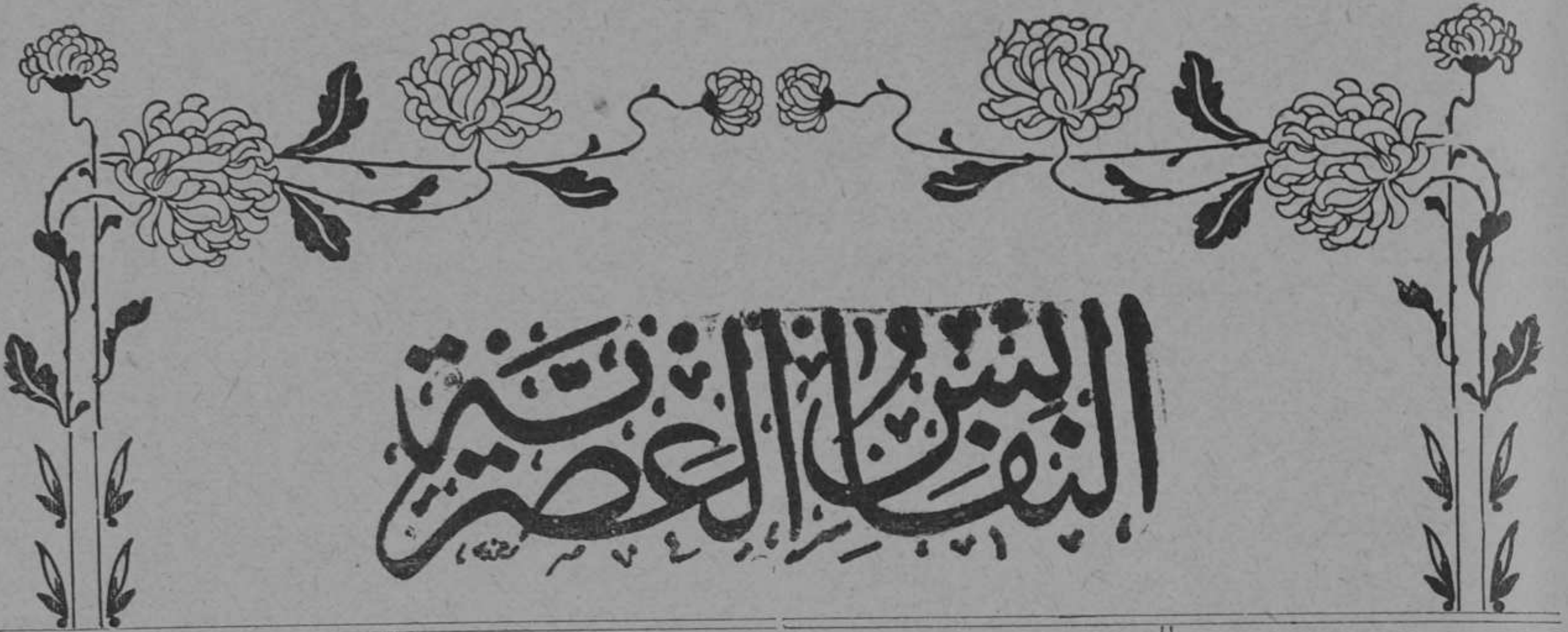


الجزء السابع | تموز سنة ١٩١١ | السنة الثالثة

بدون قصد

آخر ما كتبه تولستوي



عاد ميخائيل الى منزله الساعة السادسة صباحاً – بعد ان قضى الليل بطوله خارج المنزل – فدخل الى غرفة الثياب يريد ان يبدل لباسه ولكنه انطرح على كرسي هناك واستغرق في الافكار والتأملات

مضت عليه الدقائق الكثيرة وهو لا يشعر بوجوده . وانه لكذلك واذا بزوجته كاترينا قد دخلت عليه بثياب النوم وهي ذات جمال ساحر وقوام بديع

واذ رأت زوجها مشرد الافكار تائه البال وهيئتهُ تدل على انه لم يذق نوماً استغربت الامر وقلقت لذلك اشد قلق فدنت منه وسألته

بلهفة – قل لي بربك ماذا جرى ؟

فأفاق ميخائيل من غفلته وقال متنهداً – قد سقطتُ وقضي الامر

فذعرت كاترينا وقالت – وكيف ذاك .. فهل لعبت ؟

– نعم

– وماذا كانت النتيجة

فأجاب وهو يسكب العبرات ويصعد الزفرات – كانت النتيجة وبالاً عليّ وعليك لاني قدتُ نفسي بيدي الى الهلاك والاضمحلال

فقطبت كاترينا وجهها وقالت بجدّة – أمَا حذرتك مغبة اللعب والمقامرة اما سعيت جهدي لحملك على الاقلاع عن هذه العادة الذميمة التي لا تؤدي الا الى الدمار ! أمَّا انت فكنتَ تصغي لكلامي وتعدني بالعدول عنها ثم لا تلبث ان تعود اليها

واطرقت الزوجة قليلاً وهي تتاهف وتتأمل في سوء حالتها واكفهرار جوّ حياتها .. ثم عادت الى الكلام فقالت – قل لي ايها القاسي كم خسرت

– خسرت كل شيء . خسرتُ مالي ومال البنك الذي انا أمين صندوقه . فاطرديني من امامكِ او افعلي بي ما تشاءين فقد هلكتُ ولم يبقَ لي امل في الحياة او النجاة . ثم غطى وجههُ بيديه وقال وهو ينتحب – لا أعلم شيئاً اكثر من هذا

– اسمع ياميشيل . اشفق عليّ لاني انسان ايضاً مثلك وقد قضيت ليلي متألمة مضطربة وانا اتقلب على مثل القتاد . افبمثل هذا انت تكافئ

زوجتك العزيزة .. فقل لي اذاً ياعزيزي ماذا خسرت وكم

– خسرت كل ما كان لديّ وما لست قادراً على وفائه. خسرت ستة عشر الف روبل وعدت صفر اليدين هائماً على وجهي

فجلست كاترينا بازائهِ وألقت يدها على كتفه وقالت بعذوبة – سكن روعك وأخبرني بالتفصيل كيف جرى ذلك

فشعر ميخائيل بارتياح الى الحديث فتناول لفافة واوقدها وقال – حقاً اني لئيم ولا استحقك ياعزيزتي كاترين فسامحيني او اطرديني بلا رحمة ولا شفقة

واراد ان يقبلها فأبعدته عنها وقالت – انك كسائر ابناء جنسك الرجال تظهرون الشجاعة ما دمتم في الرخاء والنعيم فاذا انقلبت الحال تقعون في اليأس والقنوط وتخسرون كل رجوليتكم .. والان تكلم بكل صراحة ووضوح

فقص عليها حديثه بتمامه وقال – بينا كنت ذاهباً الى البنك لاضع فيه المال التقيت بصديقي نيكراسكوف فعرض عليّ ان ارافقه الى بيته لنقضي بعض الوقت في اللعب والتسلية فانقدتُ لهُ ولبثنا نلعب الى ان خسرت كل تلك الاموال. وقد فعلتُ ذلك بدون قصد ولذلك فانا عازم الان ان أنتحر تخلصاً من هذه الحالة الحرجة

– لا يمكن ان يخسر احد ماله بدون قصد وخصوصاً اذا كان هذا المال امانة في يده

– عنفيني ما شئت وافعلي بي ما تريدين

– انا لا اريد ان اعنفك بل اريد ان انقذك من هذه الورطة كما

انقذتك قبلاً من غيرها وغيرها مع انك لا تستحق ذلك

ـ اضربيني اذا شئت ولكن خاصيني مما انا فيهِ من الحيرة والاضطراب

ـ لان الساعة السابعة فانهض واذهب في الحال الى مدير البنك وقص عليهِ امرك

ـ ما ا تقولين . وهل من الحكمة ان انطلق اليه واقص عليهِ الحديث بتمامه ! . .

ـ يا لك من غبي ! وهل ظننت اني اريد ان تذهب الي المدير وتقول لهُ انك خسرت اموال البنك في المقامرة. . . قل له انك بينما كنت ذاهباً الى المحطة. . . لا لا بل اذهب الساعة العاشرة الى دائرة الشحنة وقل انك بينا كنت ماراً في الشارع انقض عليك اثنان من اللصوص احدهما ذو لحية والاخر فتى فضرباك وسلبا ما كان لديك من المال. . . ثم اذهب بعد ذلك الى مدير البنك واسرد له الكلام بعينهِ

ـ غير انهم يطلعون على الحقيقة من نيكرا سكوف نفسه

ـ انا اتكفل بابلاغه ذلك وباخذ التدابير اللازمة

فلما سمع ميخائيل هذا الكلام ابرقت اسرتهُ وزال اضطرابهُ فقام الى زوجته فقبلها وهو معجب بفرط ذكائها ثم اسرع الى سريره فنام . وفي الساعة العاشرة ايقظتهُ زوجتهُ. .

* * *

حدث ذلك صباحاً في الطبقة العليا من المنزل

وفي الطبقة السفلى منهُ جرت حادثة اخرى الساعة السادسة مساء

كانت تقطن هذه الطبقة اسرة مؤلفة من والدين وولدين صغيرين صبي اسمهُ فوكا وعمره ست سنوات وبنت اسمها تانيا وعمرها اربع سنوات ونصف السنة وقد كانا على جانب عظيم من الجمال واللطف ودماثة الاخلاق

في ذلك المساء بعد ان تناول الجميع الطعام اخذت الوالدة صحفة فملأتها من الحلوى وقالت لابنها خذهذه الصحفة وقدمها الى مربيتك. وكانت المربية تسكن غرفة محاذية لغرفة الاولاد يُنزل اليها بدرج

فاخذ الصبي الصحفة ونزل مهرولاً وجلس الوالدان يشربان القهوة ويتحدثان وهما ينتظران عودة الغلام. ولما مضى نحو نصف ساعة قالا لابنتهما ان تذهب وترى اخاها

فوثبت الطفلة عن كرسيها وذهبت مسرعة محبورة. ولما انحدرت عن الدرج رأت اخاها واقفاً بازاء سريره في غرفة النوم والصحفة فارغة في يده وهو يبكي. فاقتربت اليه وقالت باهتمام ـ ماذا جرى لك يااخي وما سبب بكائك ؟

فشرق فوكا بدموعه وقال اني اكلت الحلوى بدون قصد ولذلك فلا اريد ان اذهب الي مربيتي .. وثقي يا اختي باني اكلتها بدون قصد .. اولاً اكلت قليلاً لاذوقها .. ثم لم ألبث ان رأيت الصحفة فارغة

— والان ماذا تريد ان تعمل ؟

— قلتُ لكِ اني افرغت الصحفة بدون قصد

فوقفت تانيا تتأمل وأجهش فوكا بالبكاء. واخيراً اشرق وجه البنت

وقالت بسرور – لا تبكِ ياخي بل اذهب في الحال الى مربيتك وقل لها انك اكلت الحلوى بدون قصد والتمس منها ان تصفح لك وغداً نقدم لها حصتنا من الحلوى ولا اظنها الا راضية بذلك

ـ وكيف اقول لها ذلك ؟

ـ هيا بنا نذهب معًا ونطلعها على الحقيقة كما جرت

ثم ذهب الاثنان ولم يلبثا ان عادا والسرور يطفح على وجهيهما

ولما قصت المربية هذا الحديث على الوالدين سرّا جداً وقد شاركهما في هذا السرور الولدان والمربية . . .



نصف الانسان

لا مشاحة ان الرجل والمرأة صنوان . بل هما شرعان نشأا من فصيلة واحدة وعقل واحد

تعاونا على قضاء اسباب المعيشة . وساعدت المرأة الرجل في مشقاته واسفاره في عهدها الاول عندما كانا في دور الظلمة والهمجية . حتى اذا توالت عليهما القرون وتغير الزمان وتبدلت الاحوال بتبدل العمران لزمت المراة بيتها للاهتمام بتدبير شؤونها وشؤون صغارها ومنزلها وقام الرجل يكد ويجتهد في تحصيل خبزه وخبز اسرته خارج منزله

فمن هذه المقدمة الصحيحة نستنتج ان الرجل قد اتفق ورفيقة حياته على كيفية العمل. فهو يشتغل في الخارج لها ولاولادها . وهي تعمل في

الداخل له ولاولاده فيتم كلٌّ نصف ما ينقص النصف الاخر

فالمرأة من هذا الوجه مساوية للرجل لان الاعمال التي تصنعها في منزلها توازي بقيمتها ما يشتغلهُ الرجل في الخارج لان عليها حفظ حياة الاسرة وسعادتها

فاذا كانت المرأة مساوية للرجل في المقابلة بين عملها وعمله ووظيفتها ووظيفته فلانعني بذلك انها تستطيع ان تساويه مساواة عمومية في كل شيء وكذلك الرجل. فانهُ لا يقدر ان يساويها مساواة عمومية في كل شيء . فالمرأة لا تستطيع ان تقتدي بالرجل في كل اعماله ولا يحق لها ان تطالب بامور مختصة بالرجل لما يعترضها من العوارض الطبيعية كالحمل والولادة وغيرهما

ومن هنا يظهر ان للمرأة حداً يجب ان لا تتعداه ومنهجاً من العمل لا تستطيع ان تنهج سواه. اما اذا احبت ان تنشيء الحفلات الادبية مثلاً . وتلقي خطباً مفيدة في مباحث اجتماعية فلا بأس بذلك . لان هذه الامور لاتثبط المرأة عن تتميم واجباتها البيتية اذ ان الحفلات لاتكون الا في ساعات الفراغ وفي اوقات معينة . وفضلا عن ذلك فالمرأة في هذه الحالة تنفع الرجل نفعاً جزيلاً بدليل انها الطف منهُ شعوراً واشد تأثيراً وامضى ذكاء

وحسب المرأة ان يكون حديثها مفيداً في المجالس وكلامها مجموعة حكم وفوائد. فيرضعها الولد في البيت مع اللبن ويتعلم منها كل مفيد نافع. وينقاد لارادتها واحكامها

واذا اخذت من كل فن خبراً اصبحت مرجعاً لاولادها في المسائل العلمية . وأفضل ما قرأتهُ في المرأة قول الخطيب الساحر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق وهو :

«المرأة الحكيمة التي تقوم بواجباتها حق القيام بامانة واخلاص تنال الاكرام الذي يناله الجندي الباسل وعندي ان الام الحقيقية هي افضل من الجندي الذي خاض الغمرات في سبيل شرف وطنهِ. هو دافع عن وطنهِ. وهي تدافع عن المدافعين عنهُ!» هذا ما قالهُ ذلك الرجل الكبير الذي عرف مقام المراة بعد اختبار طويل ودرس مدقق . فاذا اردنا نحن معشر الشرقيين ان نعرف احوال امة من الامم فعلينا ان نبحث عن حالة نسائها فبمقدار آدابهن ومعارفهن يكون تقدم تلك الامة . فلا ريب اذن ان الامة هى الام والام هى الامة حليم ابرهيم دموس

﴿ حقائق منسية ﴾

من كان عدوه نفسه فلا يتّهم الحوادث

من استراح ضميره فرح وان ذمه الناس ومن تعب ضميره حزن وان مدحوه

من ربح المال بخسارة حسن السجايا زاد خسراناً وفقراً

من لم يتعظ بغيره اتعظ بنفسه

من سلّ سيف البغي قُتل به . ومن اوقد نار الفتنة كان وقودها . ومن حفر بئرًا للمكر وقع فيها

من دام كسله خاب أَمله . والخيبة نتيجة مقدمتين الكسل والفشل وثمرة شجرتين الضجر والملل

قوة الانهار

لا مشاحة في ان للانهار قوة غريبة في نقل المواد الصلبة الى مصابّها او الى البحار التي تدفع اليها . فكل نهر ينقل في اثناء جريانه مقداراً من الرمال والاتربة والمواد الصلبة بالنسبة الى سرعة جريانه وصغره وكبره . وقد قرَّر علماء الجيولوجية ان قوة الانهار هي من اعظم القوى في العالم واليك بعض التفاصيل اللطيفة تأييداً لذلك

ان نهر ريس ّ – وطوله بضعة اميال فقط – يدفع في كل ٦٦ سنة الى بحيرة اورنر عشرة ملايين متر مكعب من المواد الصلبة . وانه استناداً الى هذا التعديل سيملأُ البحيرة من هذه المواد بعد ٢٠٠٠ سنة ويحولها الى ارض يابسة

ونهر رونا ينقل الى بحيرة جنيف ما يعدل المقدار السابق الذكر في كل خمس سنوات وانه سيجفف البحيرة تماماً في مدة ٤٥ الف سنة

ونهر الرين مملوء في قسمه الاول بهذه المواد الصلبة وفيهِ لكل كيلومتر مليون متر مكعب او ٥٠ مليون قنطار حصى ما خلا الطين او التراب . ومعلوم ان النهر لا ينقل جميع هذه المواد الهائلة دفعة واحدة ولا بسرعة واحدة غير ان معدَّل ما ينقلهُ منها في السنة ٢٧٥ متراً . وهذه الاشياء تصغر احجامها وتستدقُّ شيئًا فشيئًا . وقد روقب ان هذا النهر في حين امتلائه – وذلك في مدة ثلاثين يومًا – يدفع الى البحر مليونين من الامتار المكعبة من الطين والتراب فقط . وكلما صغر النهر وانخفضت

الارض كلما خفت قوتهُ وضعف عمله

ونهر التاميز يدفع الى البحر كل سنة ٦٠٠٠٠ متر مكعب من المواد الصلبة . وهذا ما ساق الجيولوجي غيكي الى القول بان التاميز وجميع انهر بريطانيا ستحوّل البحر النمساوي او بحر الشمال الى ارض يابسة بعد خمسة ملايين ونصف المليون من السنين

ونهرا الدانوب وفولغا اللذان يسقيان رُبع اوروبا كلها سيحوّلان البحر الاسود وبحر قزوين مع تعاقب الاحقاب والقرون الى ارض يابسة . فنهر الدانوب يدفع الى البحر الاسود كل سنة من ٢٥ الى ٥٠ مليون متر مكعب من الطين . واما فولغا فيدفع الى بحر قزوين نحو ٣٨ مليون متر مكعب او مليارين من قناطير الرمل . وهذا المقدار او ذاك هو اكثر بكثير مما تحمله جميع مراكب النمسا التجارية كل سنة من الاثقال والوسق

ونهر المسيسبي يطرح في خليج المكسيك كل سنة نحو مئة مليون متر مكعب من المواد الصلبة . ويوخذ من كلام الجيولوجي ماك غي الاميركي ان المواد الصلبة التي يدفعها نهرا المسيسبي وريو غراندى الى الخليج هي السبب الوحيد في امتلاء قسمه الشمالي بالرمال واتساع ذلك عامًا بعد عام

وانهر اوب وينيسى ولينا الجارية في سيبيريا والصابّة في الاوقيانوس المتجمد الشمالي تزيد مساحة البر نحو سبعة ونصف من الامتار المكعبة كل ٥٠٠ سنة

ونهر الكنج في الهند يدفع الى البحر كل يوم نحو ٥٥٠٠٠٠ متر

مكعب من المواد الصلبة . ويُقال ان مقدار ما يجرفه هذا النهر عن جبال حملايا في كل ٧٠٠٠ سنة يعدل جبل اتنا حجماً

ونهر غوانغو في الصين يدفع سنوياً الى البحر نحو ١٦٥٠٠٠٠ متر مكعب من الرمل والطين

ولا ريب بعد هذا في ان جميع دلتات الدنيا هي من صنع الانهار . فمساحة دلتة نهر الدانوب ٢٤٠٠ كيلومتر مربع . ودلتة فولغا ٤٠٠٠ والنيل ٢٢٠٠٠ ونهر ميكونغ ٧٠٠٠٠ كيلومتر مربع

ويُقال ان نهر الامازون في اميركا الجنوبية قد كوَّن ارضاً لا تقل مساحتها عن مساحة اية مملكة كانت من ممالك اوروبا المتوسطة . — وان سواحل سيبيريا الشمالية هي ايضاً من تكوين الانهار . — كما ان مصر السفلى من تكوين النيل . وهولاندا من تكوين الرين . والله اعلم



العين

(خطبة لحضرة موقّعها ألقاها في احدى الحفلات الادبية في القدس)

كانت ليلة الثالث من شهر اذار من اشدّ ليالي الشتاء برداً اشتدّ حالك سوادها وهبت الريح بعنف وصرامة عابثةً بكل ما أتى في طريقها حتى كادت تقتلع الاشجار من الاصول والاخشاب من النوافذ وتساقطت الامطار الغزيرة المتواصلة ولمعت البروق وقصفت الرعود فبات الناسُ يلتفُّون باشيائهم ويتدثرون بكل ما وصلت اليه ايديهم من الاغطية والملابس

وما صدّقتُ ان عبرت ساعات الليل الطويلة حتى استيقظتُ على أول لمحة من النور الضعيف فركضتُ الى النافذة متخوفاً من بقاء الطقس على حالهِ واذا الجوُّ صافٍ والريح هادئة والطرق نظيفة والشمس قد طلعت من المشرق ترسل سهامها الملتهبة فتعيد الى الارض الحياة والحرارة والسرور . ففتح الناس نوافذهم لاستقبال أشعتها الحارَّة القاضية على كل الميكروبات المضرَّة والمطهّرة لكل الزوايا الموبوءَة . وقد انبسطت الحقول الواسعة مكسوَّة بحلة خضرآء رصعتها الزهور البهية كما ترصّع النجوم السمآء الزرقآء . وتكلَّلت هام الاغصان من لآلئ المطر بتيجان . فخرج الناس يتمشون في اشعتها الجميلة وقد اشرقت منهم الوجوه وأبرقت الاسرَّة وهم يتمنَّون لو كانوا قريبين من الشمس او كانت قريبة منهم فتزيدهم من حرِّها

فخرجت مع مَن خرج وجعلت وجهتي ساحة من ساحات المدينة والناس يروحون ويجيئون على عرض الطريق ولا حديث لهم الاَّ هول الليلة السابقة وجمال ذلك الصباح البهيج ولا سيما الشمس سلطانة ذلك الجمال الباهر . واني لكذلك اذ استلفت نظري وسمعي رجل عاري القدمين فقير الحال قد توكأ بيده على عصاه وألقى يده اليسرى على كتف ولدٍ له يقوده في الطريق وهو يسأله قائِلاً — أطالعة الشمس يا بنيّ ؟

ولا تسل عن التأثر والاسف اللذين اصاباني لدى روءيتي ذلك المنظر المؤثر وسمعي تلك الكلمات في مثل ذلك الوقت . فقلتُ في نفسي : هل من موجود عاقل او غير عاقل او نبات لم يشترك في ذلك السرور ؟ فما

أَسوأ حالَ الاعمى وما اشدّ شقاءه ! وأنَّى له ان يتمتع بمناظر الطبيعة التي تملأُ النفسَ بهجة وسروراً التي قال عنها صاحب المزامير « انها تحدّث بمجد الله وتخبر بعمل يديه » وقال الرسول بولس « انها شاهدة بقدرة الله السرمدية ولاهوته حتى ان الذين ليس لهم الوحي هم بلا عذر »

وها قد خرج الناس يمتعون ابصارهم بمرأى هذه الشمس الجميلة بعد ظلام الليل وبرده . اما الاعمى فالظلام سائدٌ عنده في كل حين . بل من اين له يا ترى ان يرى وجه امه المملوء حبًّا له ووجوه اخوته واصحابه ويقرأ المعاني التي تبدو عليها . يُؤتى اليه بالطعام والشراب فلا يراه فيُحرَم لذةَ القابلية التي يهيجها البصر . وما اسهل انخداعه بالاشخاص وبمأكله ومشربه ومكان نومه اذا اتفق وجوده مع مَن لا يخافون الله ولا يرعون حرمةً للانسانية . صحيح ان الاعمى يحصر انتباهه كثيراً وتشتدّ فيه قوة التأَمل الى حدٍّ يكاد يبعد عن التصديق

ورد في النشرة الاسبوعية سنة ١٨٩٣ في عددها الثالث « ان رجلاً اميركيًّا ضريراً اخترع مركبًا توربيديًّا سنة ١٨٨٣ . وارتقى المستر فوست الضرير الى ادارة بريد الحكومة الانكليزية . وصعد ضرير آخر وهو الدكتور كامبل رئيس المدرسة الملكية للعميان في لندن على جبل بلانك في سويسرا مع ان كثيرين من البصيرين لا يتجرأون على ارتقائه »

وقيل عن سندرسن [١] الرياضي الشهير انه فقد بصره بسبب الجدري سنة ١٦٨٣ وكان عمره حينئذٍ سنة واحدة ولكنهُ انقطع عندما كبر الى

(١ Walker's Physiology P. 467.

درس العلوم وصار يلقي خطباً نفيسة في جامعة كمبردج في الرياضيات وعلم البصر . وكانت حاسة اللمس قوية فيه للغاية فقد عرض عليه مرة عدد من الاوسمة الرومانية فقدر ان يميز بين الحقيقي منها والزائف مع ان الزائفة منها كانت مصنوعة بمهارة غريبة حتى غشت اكثر ذوي البصر . وكان اذا وُضع شيء امامه يحس بوجوده من الفرق في تأثير الهوآء على وجهه . اما سمعه فكان عجيباً ايضاً حتى انه قدر ان يعرف علو الغرفة التي يوضع فيها ويقدر المسافة بالضبط بينه وبين الحائط

ولكن كل هذه الامور قلما تنفع الاعمى وقلما تغني عنه شيئاً فان من قرأ قصيدة ملتن الشاعر الانكليزي عن نفسه حين أصيب بالعمى لا بد ان يشعر مع الشاعر بالاسف على فقده بصره الذي دعاه وزنته الخاصة ويشاركه بالحزن على فقده ذلك النور الذي دعاه حاجب الموت ورأى نفسه بعد ذلك عاجزاً عن القيام بالواجبات التي خلق لها . ولا بد ان يتأثر القارئ معه حين يعزي نفسه بان تلك مشيئة الله ويوصي نفسه بالصبر الجميل والرضى بما قُسم له

ولكن هب ان الاعمى كان صانعاً فكيف يمكنه ان يدرك نقص صناعته فيسعى في تحسينها خصوصاً اذا كانت من الصنائع الدقيقة . وهبه كان خطيباً فكيف يرى علامات الارتياح على وجوه سامعيه فيزيدهم مما يقع لديهم موقع الاستحسان او يختصر او يترك ما يرى انهم لا يميلون الى سمعه . بل كيف يستطيع ان يستمر في حديثه وهو لا يرى وجوه سامعيه ليعرف ان كانوا منتبهين لقوله . وقد قيل العين

مغرفة الكلام . ألا ترى انك كلما آنستَ من سامعك انتباهًا ازددتَ لذةً في الحديث واقبالاً عليه . ثم اذا كان الاعمى فقيراً لا يملك ما يسد حاجاته فهناك الطامة الكبرى . ولا اطيل الكلام في مثل هذه التأملات المحزنة لانها كثيرة وموءلمة

وخلاصة القول ان البصر باب واسع للمعرفة لانه به تُدرَك الانوار والحركات والهيئات والمقادير والالوان وسائر احوال الطبيعة والصناعة[١] ولا يُنكر ان الانسان يحصل على المعرفة بواسطة سائر الحواس ولكن تلك المعرفة قليلةٍ جداً بالنسبة الى ما يحصل عليه بالبصر ولذلك سُميت قوة العقل بصيرة لانها مشتقة من البصر . وكما انه باب لدخول المعرفة الى العقل هو ايضًا باب لولوج السرور الى القلب وهو الذي يجلبه النظر الى ما هو جميل . والبصر فضلاً عن ذلك هو النافذة التي تطلُّ منها النفس فتظهر العواطف الكامنة فيها . والاعمى بعيد عن كل ذلك . فالفرق بعيد بين الاعمى والبصير وكل هذا الفرق قائم بآلة البصر الصغيرة وهي العين

العين ايها السادة وما ادراكم ما العين . عضو صغير نحيف قد حصَّنه الخالق في امنع القلاع وأحاطه بالاسوار المنيعة والحراس قائمون على حراسته ليل نهار . وهو مع صغره ونحافته يبدو فيه من المعاني ما لا يستطيع اللسان الافصاح به . قال الشاعر :

عيناك قد دلتا عينيَّ منك على ... اشياء لولاهما ما كنت رائيها

(١) Baldwin's Psychology P. 90

والعين تعلم من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

وقال آخر :

واذا اعوزَ اللسانَ بيانٌ فعلى العين بسطُ تلك المعاني

فتراها تجولُ بين جفونٍ تتمنى لوأنها شفتانِ

وقال العلامة امرسن : «العين تعلن ما عمل الانسان وما هو عامل وما ينوي ان يعمل فهى اذاً تدل على ماضى حياة الانسان وحاضره ومستقبله . تكشف تاريخ النفس لمن أُعطي المهارة في قراءة معانيها. لا يقدر الانسان ان يثبت نظره في الشمس فهى لا تزال بعيدة عن الكمال. وجد احد السياح المتاخرين اناساً في سيبيريا قدروا ان يروا اقمار المشتري باعينهم المجردة. . هذا وان بعض الحيوانات تفوق الانسان بصراً فان للطيور نظراً احدّ فضلاً عن انها بواسطة مقدرتها على الطيران تنشئ لنفسها مرصداً اقرب الى الافلاك. والبقرة تكلم عجلها باشارة خفية ولعلها بالعين تأمره بالبقاء او الاختفاء. . عيشة الخلاء تقوي البصر فالفلاح ينظر اليك بنظر اشبه بنظر الحصان . والملاحون يرون السفينة من مسافة بعيدة جداً . العين تهدد كما يهدد البارود وتهين كما يهين الصفير والرفس. وبواسطة حركتها تجعل القلب يرقص طرباً . (قال ميخائيل انجلو : المصور يجب ان تكون آلة قياسه عينه لا يده). العيون جريئة كالنسور تحلق وتعدو وتثب الى البعيد والقريب . العيون تنطق بكل لسان ولا تحتاج في احاديثها الى ترجمان بل هى تقدم نفسها اليك وتخاطبك وتباحثك وتنتقدك من الرأس الى القدم في هنيهة من الزمن فتوحي اليك في لحظة ما لا يستطيعه

اللسان في ايام. وكم يتحدث الناس بعيونهم كما يتحدثون بالسنتهم على ان حديث النواظر افصح لانهُ يدور بلغة لا نحتاج في تعلمها الى معجم. اذا قالت العين قولاً وقال اللسان آخر فالصادق هي لاهو. وقد تجادل امرءًا في شأن فينكر عليك رايك بلسانه وعيناه تعترفان به. بل قد تدل العين على ما سيقولهُ اللسان او تفعلهُ اليدان قبل ان تتكلم او تبدي حركة. كل مجاملات الضيافة وعلائم المحبة باطلة وبلا فائدة ان لم تقترن بترحيب العين . و كل عبارات التعزية والموءانسة باردة وبلا معنى ان لم تشترك العين بالدلالة عليها. وقد ترى هذه العلامات في عيون بعض الناس اوضح منها في عيون البعض الاخر ولكنها كلها تتكلم بلغة مفهومة. ومن المحقق ان في عيني كل واحد منا بيانًا لطبقته في سلم الانسانية ونحن آخذون في تعلم قراءته شيئًا فشيئًا»

ولقد صدق من سمى العين مرآة النفس . فقد تنظر الى انسان فترى في عينيه من علامات اللطف والانسانية ما يجذبك الى موءانسته ويستأسرك لمحبته . وقد تنظر الى اخر فتقرأ علامات المكر والدهاء في عينيه فتنفر منه لاول وهلة وتتوارى عن مرآه كأنه يرميك بسهام حادة. قال الشاعر:

يا قاتل الله العيون فانها خُلقت لواحظَ كيف صارت اسهما

وكم من عيون تسطو عليك من غير ذنب فتخالها تنصب لك الحبائل او تدعو الشرطة للقبض عليك . تلك عيون وقاك الله من شرها

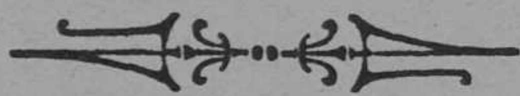
وللعين دلالات اخرى واللسان صامت . فمنها العيون المريبة

والواثقة والخائنة والجريئة والنافذة الكلمة والضعيفة الحجة والوديعة والمتكبرة والنبيهة والخاملة والمذنبة والبريئة وغير ذلك . تلك معرفة يليق بالوالدين والمعلمين والحكام والقضاة درسها جيداً كما لا يخفى

والعين فضلاً عن ذلك تتقلب هيئتها باختلاف ما يطرأ على صاحبها من العوامل فهي تحمرُّ غضباً وتبرق انعطافاً وتذبل خجلاً فلا بدع اذا سموها آية السحر والجمال . واذا كانت هذه اهمية العين فلا يكون من الفضول ان نبحث اولاً في تركيبها ثانياً في غرائبها . والكلام في العين الواحدة يصدق على الاخرى

توفيق زيبق

(تتمتها في الجزء القادم)



وقفة شاعر

كان في الامس لوعةٌ وشجونُ · في غدٍ يازمان ماذا يكونُ
اظلمت عنده البصائر وارتدَّت حيارى بالرغم عنه العيونُ
ظلماتٌ من خلفها ظلماتٌ · ضفتْ ذرعاً بها فليس تبينُ
لعب الظن باليقين فاضحى · وعليه من الشقاء كمينُ
ومجال اليقين اضيق عن ان · تتبارى في جانبيه الظنونُ
ليس هذا الانسان غير متاعٍ · تتسلى به وتلهو القرونُ
قذفته يدُ الطبيعة اعمى · كل ما فيه غفلة وسكونُ
فارتقى منبر الحياة طروباً · وهو مغرًى بزهوها مفتونُ

كل يوم له على الدهر حقٌّ اي هذين يا ترى المغبونُ
ذاك حق المعاني الضعيف وهذي حجة الدهر انه مجنونُ
يدرج الناس والحياة حياةٌ دورانٌ دلياه تخمين
نغماتٌ توقيعها بيد الدهرِ لها والخطوب تجري رنينُ
جاريات الادهار سيري اختيالاً قلب هذا الورى كئيبٌ حزين
تخذ اليأس مركباً فحدته زفرةٌ تقطع الحشا وانينُ
يقتل الدين في النفوس جفاءٌ يا نفوس الادهار ما لكِ دينُ
حليةُ السائدين رفقٌ ولينٌ اين رفقٌ في جانبيك ولينُ
كل حين لك السيادةُ والامرُ أما للورى بربك حينُ
انتِ والله لا تروعك شكوى لا ولا قلبك الحديد يلينُ
اطلقيه آناً ليحيا ويحيي بئس عيش الانسان وهو سجين
ويح من يقتل الحياة ولا يدري اشكٌّ حياته ام يقينُ
راودته الاوهام باسمة الثغرِ وكلٌّ ابتسامها تضمين
فرأى حكمها الدنيّ علياً ورأته العليّ وهو الدونُ
وسعى للخضوع وهو عصيٌّ وسخا بالقياد وهو ضنينُ
آبقٌ اغلظ الاوامرِ مولاه وعبدٌ للحادثات رهين
تتوالى الاعوام عاماً فعاماً وهو باقٍ على الخضوع امينُ
عصمته الاقدار لو لا يمينٌ اقسمته بالله ماذا اليمين
احياة والموت اقرب عهدٍ وحقوق تسدى ولا تأمين
فانزلي يا خطوب لسنا نبالي او تهون الدنيا فلسنا نهونُ

حركات الاكوان لعبٌ وجدٌّ النازلات الصعاب فيها مجونُ
شرعة الافق في البرية تجري ونظام افق السها مسنونُ
طلقاء الافكار هذا مجالٌ وله كل مرقم مديون
فاهصر واغصن عيّكم واطرحوه اصل هذا الشقاء هذي الغصون

سابا قيصر زريق



الزوج المستعار

كان جاك جالساً ذات يوم في مكتبهِ يطالع بعض الجرائد التي جاءه بها البريد . وهو رجل في الخامسة والثلاثين من عمره معتدل الجسم ليس له اهل ولا عيال . وان هو لكذلك اذ دخلت عليه فتاة هيفاء القوام بديعة الحسن يُقال لها ليزا وقد ظهرت في وجهها علائم الاضطراب والقلق . وكان جاك يعرفها من قبل ولكنه بهت الان لدخولها عليه في تلك الحالة ونهض فاستقبلها ببشاشة وقدم لها كرسياً ثم سألها عن حالها

فقالت — لقد جئت اليك الان لامرٍ ذي بال وارجو ان تمد لي يد المساعدة وتنقذني

فجحظت عينا جاك لدى سماعهِ هذا الكلام وقال — ومن تجرَّأَ على اهانتك او التضييق عليك ايتها الحسناء حتى انقذك وأُساعدكِ ؟

قالت — اني في اشد الضيق ايها الصديق وليس لي مناص من ذلك الا بمساعدتك

– لبيك فلا شيء يعوقني عن سفك دمي في سبيل اغاثتك فقولي ماذا جرى ؟

– ان عمتي ستحضر غداً من لندن

– واذا حضرت فماذا يهمك ؟

– ذلك يهمني جداً فقد حدث لي حادث مهم يتعلق بمستقبل حياتي بل بسعادتي او هلاكي

– صرحي لي بالذي جرى لان الاعتراف نصف الاصلاح

– انت تعلم اني خُطبتُ هنا في باريس لادمون . . .

فقاطعها جاك قائلاً – ادمون الخبيث الذي يعرف الجميع لؤمهُ ودناءته ؟

– نعم والذي تكرههُ نفسي اشدَّ الكراهة ولهذا السبب قطعت كل علاقة به وأعلنته عزمي بصراحة

– اني مسرور جداً لعملك لان ادمون لا يستحق عروساً جميلة عريقة في الحسب نظيرك

– غير اني لم أجسر ان اكتب لعمتي عن قطع هذه العلائق وهي تظن اني قد اقترنت به

– وما سبب سكوتك عن إنباء عمتك بالواقع ؟

– لاني اخذت منها بائنة (دوطة) قيمتها ثلاثة الاف ريال وأنفقتها على نفسي

– وكيف انفقت كل هذه الاموال على نفسك في مثل هذه المدة القصيرة ؟

ـ ابتعتُ بها ثياباً وحلىً واثاثاً ومنها دفعت اجرة منزلي وغير ذلك من النفقات التي لا تحصى. كل هذا وعمتي لا تدري بعدم اقتراني بادمون وغداً موعد حضورها الى باريس حباً للتعرف به لانها لا تعرف عنهُ الا ما ذكرتهُ انا لها وستقيم عندنا يوماً واحداً ثم تعود الى لندن

ـ فانتِ اذاً تبحثين عن زوج تستعيرينهُ ليوم واحد!

ـ نعم

ـ غير ان ذلك مستحيل اذ لا يرضى احد ان يُستعار لمثل هذا الحسن يوماً واحداً فقط

ـ لا تمزح يا جاك لاني مضطربة الخاطر جداً وقد جئت استغيث بك فلا تردني خائبة

ـ انتِ اذاً تقترحين عليّ هذا الامر وتريدين ان اكون زوجاً لك!

ـ في مدة وجود عمتي فقط

ـ فانا اذاً مضطر ان انتقل الى منزلك

ـ لا لا بل يكفي ان تكون نهاراً عندي لتراك عمتي وعند المساء تأتيك رسالة برقية تأخذها وانت عندي

ـ وما يكون مضمون هذه الرسالة؟

ـ مضمونها ان بعض العملاء يستدعونك حالاً الى احدى المدن القريبة لقضاء بعض اشغال تجارية

ـ حسن وهل عمتك عجوز مسنّة؟

ـ كلا فلها نحو ثماني وثلاثين سنة من العمر وهي جميلة وتحب

الرجال كثيراً وحسبي انها غنية وتحبني فلا تبخل عليَّ بشيء

ـ اني راضٍ باقتراحك وسأكون لك زوجاً ولو يوماً واحداً

ـ اشكر لك رقتك وكرم اخلاقك ياجاك واني مستعدة ان اكافئك على ذلك بما تطلب

ـ اسمحي لي اذاً ان اقبل وجنتك الوردية بشفتيّ الملتهبتين

ـ انك تطلب المستحيل يا جاك

ـ لا تقولي المستحيل لاني سأقبلك غداً بصفتي زوجك

ـ غداً يجوز لك ذلك واما الان فلا

* * *

وفي اليوم التالي كان جاك (الذي نسميه الان ادمون) في منزل ليزا جالساً في احدى الغرف. فما شعر الا وجرس الدار يقرع منبئاً بحضور «العمة» فخرجت ليزا وخادمتها لاستقبالها ثم دخلتا بها الى ردهة الاستقبال حيث جلست العمة وهي تقول لابنة اخيها ـ اني مسرورة جداً بترتيب منزلك وحسن ذوقك ومن صميم القلب اهنئك وارجو لك كل سعادة وتوفيق مع زوجك ادمون

فقبلت ليزا يدها شاكرة وهي تظهر الحشمة والحياء

واستأنفت العمة قائلة ـ فاين هو زوجك ايتها الحبيبة ؟

ـ هو في غرفة الشغل وسأستدعيه بعد ان تخلعي ثياب السفر وترتاحي قليلاً

ـ اصبتِ فهيا بنا الى غرفة النوم

وذهبتا معاً وهما تتحدثان وقد طابت نفس العمة بما شاهدتهُ في منزل ابنة اخيها من الترتيب والذوق وكانت اذارأت نقصاً في الاثاث تعد بسده لكي تكون سعادة الزوجين كاملة لا يشوبها نقص . وبعد ان فرغت العمة من لبس ثيابها وصقل وجهها وترتيب شعرها على آخر زي أمرت ابنة اخيها ان تذهب وتدعو زوجها

وكان ادمون (جاك) لا يزال في غرفة الشغل يعي كل حديث يدور بين الاثنتين فلما دخلت عليه ليزا رأته ممتقع الوجه حائراً وقبل ان تخاطبهُ بكلمة دنا منها فأوصد الباب وراءها وقال لها همساً — لا يمكنني ان اقابل عمتك

ــ ولماذا ؟

ــ لسبب خاص لا يمكنني ان ابوح به

ــ انك بامتناعك عن مقابلتها تقضي على سعادتي

ــ قولي لها اني سافرت لامر اضطراري فأبقى هنا مختبئاً في الغرفة اوفي هذه الخزانة الكبيرةالى انتبرح عمتك المنزل اوأغتنم فرصة تشاغلكما او خروجكما للنزهة فأذهب لشأني

ــ ولكن قل لي بربك ماذا جرى وكيف تريد ان تعاملني هذه المعاملة المؤذية التي تقطع كل علاقة لي بعمتي ...

وفي هذه اللحظة فُتح باب الغرفة وظهرت العمة تختال بثوبها الانيق . فالظاهر انها استبطأت ابنة اخيها ولم يعد في طاقتها الانتظار. ولما فتحت الباب ووقع بصرها على زوج ليزا جمدت في مكانها وقد

ارتعشت واضطربت وجحظت عيناها ولكنها لم تلبث ان تمالكت روعها بعض الشيء وأمرت ابنة اخيها بالخروج من الغرفة . فخرجت ليزا حائرة مدهوشة وتقدمت العمة الى ادمون وقالت وقد اهتزت اعصابها غضباً

ـ وهل بلغت منك القحة ايها الخبيث ان تخدع ابنة اخي كما خدعتني وتقترن بها منتحلاً اسم «ادمون» لتخفي ما انطويتَ عليه من المكر والخداع والشر ؟

فنظر اليها جاك نظرة المستغيث وقال ـ رحماك ايتها العزيزة . . .

ـ اخرس ايها النذل ! ألم يكفك اني احببتك وخدعتني حتى نصبت حبائلك الخبيثة لتخدع ابنة اخي ايضاً وهي فتاة طاهرة لا تعلم شيئاً من ماضيك ! فاعلم الان بان حبي لك قد تحوّل الى كراهة شديدة وسأنتقم منك شرّ انتقام

ـ اصفحي عني ايتها العزيزة و . . . .

ـ لا تطمع في رضاي ولا تسرد عليّ ترّهاتك

ثم تخاذلت ركبتاها وكادت تسقط عياءً فدنا منها جاك يريد ان يساعدها لتجلس فانتفضت منه كمن لدغتهُ عقرب وقالت ـ اياك ان تمسني بيدك ايها الخائن !

ولما قالت ذلك انحدرت الدموع من عينيها ثم خرجت الى ردهة الجلوس لا تلوي على شيء

وكانت ليزا واقفة كالمأخوذة وهي ممتقعة الوجه لا تفقه سبباً لكل هذا . ولما دخلت عمتها ورأت ليزا دموعها وهياجها ازدادت اضطراباً

وخوفاً . واذا بالخادمة قد دخلت وبيدها رسالة برقية (وهى الرسالة التى كتبتها ليزا بنفسها) في طلب الخواجا ادمون لشغل اضطراري . واذ علمت العمة ذلك مسحت دموعها وقالت لابنة اخيها – اني اكون مسرورة جداً يا ليزا اذا سافر زوجك حالاً فان لي كلاماً طويلاً اقوله لك على انفراد

وكان جاك لا يزال في غرفة الشغل حائراً مذعوراً ينتظر بفارغ الصبر ختام هذا التمثيل الذي عاد عليه بالوبال . فلما وعى كلام ليزا وعمتها بخصوص الرسالة البرقية انسل من الغرفة وغادر ذلك المنزل دون ان يودع احداً . وخرجت الخادمة من ردهة الجلوس تهزّ رأسها عجباً وجلست ليزا الى عمتها وهى تزداد حيرة وخوفاً

فقالت العمة – اني أطلب منك ياليزا ان تنصلي منه وترفضي معرفته وخذي مني في مقابل ذلك ما تريدين

فلما سمعت ليزا هذا الكلام سرى عنها بعض القلق وسكن روعها وأخذت تمثل الان دوراً آخر فقالت – ولكن ياعمتي ! ...

فقاطعتها العمة قائلة – قلتُ لكِ اطلبي ما شئتِ فانا ادفع لك لقاء ذلك خمسة وعشرين الف ريال ... انتِ طفلة بعد وقد اقترنت بهذا الرجل دون ان تطلعي على ماضي حياته فهو وغد لئيم وقد احببته منذ بضع سنين وهمت به هياماً شديداً ولكنه خانني وتركني فأُريد الان ان انتقم منه ولذا فأنا اسألك ياعزيزتي ان تنفصلي عنه تماماً وتطرديه ولا تعودي الى مقابلته وغداً تسافرين معى من هنا حتى اذا عاد هذا اللعين

الى المنزل يجده موصداً دونه فيهيم على وجهه ويتعلم امثولة لن ينساها طول حياته . واما المبلغ الذي وعدتك بهِ فستقبضينهُ اليوم او غداً وهو كافٍ ليكون لك بائنة جديدة حينما ترين لكِ زوجاً آخر شريفا وليس كهذا الخبيث

وفي اليوم التالي سافرت الاثنتان من باريس وليزا تتنهد من وقت الى آخر وعمتها مسرورة بهذا الانتصار معجبة بمروءة ابنة اخيها التي ضحت سعادتها في سبيل مرضاتها . . .

وكانت ليزا قبل سفرها قد كتبت رسالة الى جاك تقول فيها : انك لم تنقذني فقط مما كنتُ فيه من حرج الموقف بل أغنيتني ايضاً فالف شكر لك ايها الصديق . ولما كنت مدينةً لك بما حصلت عليهِ من الثروة الجديدة فعند عودتي الى باريس سأجتمع بك وأقوم بواجب الشكر لك حسبما تريد صديقتك ليزا



حُكي ان عبد الرحمن بن مسهر كان قاضياً على بلدة بين بغداد وواسط يُقال لها المبارك فبلغه خروج الرشيد الى البصرة ومعه ابو يوسف القاضي في الحراقة . فقال عبد الرحمن لاهل المبارك اثنوا عليَّ عندهما فابوا عليه. فلبس ثيابه وتلقاهما وقال نعمَ القاضي قاضينا ثم مضى الى موضع آخر واعاد عليهما هذا القول . فالتفت الرشيد الى ابي يوسف وقال يا يعقوب قاضٍ في موضع لا يثني عليه الاَّ رجل واحد بئس القاضي فقال ابو يوسف والعجب يا امير المؤمنين انه هو القاضي وهو يثني على نفسه فضحك الرشيد وقال هذا اظرف الناس هذا لا يُعزل ابداً



روزنامة تولستوي

[١٢] اذا اصبت قريبك بشر صغير فاعتبره كبيراً وان صنعت به خيراً فاعتبره قليلاً وان كان جزيلاً وليكن صغير المعروف معك كبيراً

ان من يعطي فقيراً يباركهُ الرب ومن يكرم البائس ويبسم له فلهُ مضاعف البركات (التلمود)

[١٣] ان النظام الذي تجلهُ الشرائع الادبية وتقضي على الناس باتباعهِ ليس عن الناس بعيداً

اذا اتبع الناس النظام البعيد عن نفس طبيعتهم فذاك نظام يجب ان لا يعتد بهِ. فكما ان النجار لا يصنع عصاً للقدوم الذي بين يديهِ الا وامامهُ عصا اخرى تماثلها حتى اذا فرغ من صنع تلك قابلها بهذه ليرى وجه الشبه بينهما: كذلك الرجل العاقل الحكيم الذي في قلبه للغير ما فيه لنفسه تتمثل له صورة ذلك النظام بابهى مظاهرها فلا يعامل الغير بما لا يريد ان يعاملهُ الغير به (كونفوشيوس)

[١٤] على الانسان ان ينتفع ليس بنعم السماء فقط بل وبفسحات الاجل الممدودة للتمتع بتلك النعم (مرقس اوريليوس)

ما اسعدنا لو عشنا بدون ان نبغض مبغضينا وبالاحرى لو عشنا بينهم

ما اسعدنا لو عشنا بعيدين عن الشره وسط الشرهين

ما اسعدنا لو تنازلنا عما لنا فاننا بهذا نكون كالالهة قداسةً وبراً

(من الحكم البوذية)

[١٥] في بساطة الحياة واللغة والعوائد قوة الامة . وفي رفاهة الحياة وفخامة اللغة ونحافة العوائد ضعف الامة وهلاكها (جون رسكن)

الاقتصاد السياسي الحقيقى هو ما علم الشعوب النفور من السبل المؤدية الى الهلاك واحتقار هذه السبل وتقويضها لا الرغبة فيها (له)

[١٦] ينجو الجواد من العدو بسرعة جريه فهو لا يكون تعساً اذا لم يتمكن من الصياح كالديك بل اذا فقد ما وهبتهُ الطبيعة اي مزية الجري السريع

ويمتاز الكلب بقوة الشم فهو لا يكون شقياً اذا حاول الطيران فلم يفلح بل اذا خسر ما وهبتهُ الطبيعة من حاسة الشم القوية

والانسان لا يكون تعساً بعدم تغلبه على ضواري الوحش واشرار لناس بل بفقدانه ما دفنت الطبيعة في صدره من صلاح وحكمة . ومثل هذا جدير بالشفقة عليه والرفق بهِ

ليس في ولادة الانسان وموته واضمحلال ثروته ما يدعو الى الاسف لان كل هذا لا يخصه . بل الاسف على فراغ قلبه مما يخصهُ حقيقةً — اعني بذلك الفضائل البشرية السامية (ابيكتيت)

[١٧] البصيرة في الطبقات العاقلة واحدة والحق واحد والناس يخضعون لناموس واحد (مرقس اوريليوس)

لا تعدُّ الخيرات العالمية والملاذّ الارضية شيئاً تجاه خيرات الحق وملاذه . فغبطة الحق تربو على كل غبطة وكل فرح (من الحكم البوذية)

[١٨] لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون

ولا لاجسادكم بما تلبسون . اليست الحياة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس (متى ٦: ٢٥)

لا تهتم للغد لانك لا تعلم ما سيحلّ اليوم

ان من تحتوي قُفّتهُ على قليل من الخبز ويهتم بامر غده فذاك قليل الايمان

ان خالق اليوم يخلق غذاء له (التلمود)

[١٩] عندما يتشبث الحكيم بناموس الصالحات فانه يخفي ذلك عن عيون الناس ولا يتأسف لعدم اشتهاره (كونفوشيوس)

الحياء الكاذب آلة في يد ابليس ينال بها اكثر مما يناله بالكبرياء الكاذبة . لانه بالكبرياء يوسع نطاق الشر وبالحياء الكاذب يدنس الصلاح (جون رسكن)

[٢٠] الحياة بنت الافكار تتولد من القلب وتنبعث عن الضمير فاذا قيد الانسان الى النقائص بفكره فالشقآء من خلفهِ يدور كدوران دولاب العربة واذا اندفع بهِ الى الطيبات فان الغبطة في الحياة كالظل الثابت تتبعهُ

مادام الانسان ينظر الى نفسهِ كمستعبد ومزدرىً بهِ من اخيه ومادامت تلك الوساوس الشيطانية متمكنة من قلبهِ فهيهات ان يخبو سعير التشاحن والبغضاء . لان ما ولده البغض لا يُقتل بسوى المحبة — ناموس الحياة الابدي (من الحكم البوذية)

[٢١] ان من يُحمل على الخجل حيث لا باعث اليه ولا يخجل مما يُخجل فذاك — اتباعًا للظن الكاذب — يقود نفسهُ الى الهاوية

(من الحكم البوذية)

الخجل فضيلة ممدوحة في الانسان لان الخجول لا يخطئ سريعاً (التلمود)

[٢٢] اقوى الناس من سالك بمشيئة الله وأطاعهُ (مرقس اوريليوس)

ان في اندفاع النفس واتحادها بنور الله جوهر محبة الله (التلمود)

[٢٣] لا سعادة للناس في نيل الاماني لانهم لا يكادون ينالون ما بالغوا في طلبه حتى يواصلوا السعي والكدح في طلب سواه. ولا حرية باطلاق النفس للشهوات بل بزجرها. اجتهد في سبيل تنزيه النفس عن شهواتها بقدر ما اجتهدت في اطلاقها تنل راحة وسعادة

دع عنك مخالطة اهل السعة والصولة وكفّ عن مجاملة رجال الشهرة والقوة فهيهات ان تنال منهم مغنماً واعكف على ملازمة رجال الراي الاتقياء بقلب صادق وفكر سليم تنل ما تريد. امامك الطريقان فاحكم لنفسك بنفسك وأرِنا. اعلى الخير والحرية ام على الشر والعبودية وقع اختيارك. فليس في حكمك ما تندى لهُ الوجوه خجلاً (ابيكتيت)

[٢٤] اسلك سبيل الحق مع الولد. انجز له المواعيد والا فقد علمتهُ الكذب (التلمود)

لا تعلم الطفل شيئاً دون الوثوق بصحته. فاذا لقنتهُ شيئاً واردت ان ينغرس في نفسه الطاهرة فاياك ان يكون ما تلقنه اياه كذباً وانت تعرف انهُ كذب (جون رسكن)

[٢٥] ولما مضوا به الى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحداً عن يمينه والاخر عن يساره. فقال يسوع يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٣ـ ٣٤)

قد تنفر النفس من الحق والاعتدال والعدل والخير على الرغم منها لا الرضى. فبقدر استيعابك هذه القاعدة تكون معاملتك للناس بتواضع

(مرقس اوريليوس)



في سبيل العلم والادب

= لشاعر العراق معروف افندي الرصافي =

(تلاها في المنتدى الادبي العربي في الاستانة)

ادبُ العلم وعلمُ الادبِ شرفُ النفس ونفسُ الشرفِ
بهما يبلغ اعلى الرتب كل رامٍ منهما في هدفِ

* * *

ايها السابح في بحر الفنون غائصاً في لجها الملتطمِ
انت والله على رغم المنون ذو وجود قاتل للعدم
قرنك الحاضر من ارقى القرون خضع السيفُ به للقلم
فاذا شئتَ بلوغ الارب فاغترف من بحره وارتشف
فالمعالي أُودعت في الكتبِ كاللآلي اودعت في الصدفِ

* * *

انت ياجاهل من قبل الممات متّ موتاً غير مغنٍ عنهُ قوتْ
اوَ ما تعلم في هذي الحياة ان رب العلم حيٌّ لا يموت
اذ قضى للعلم رب الكائنات بالعلى فهو زمام الملكوت

وعلى الجهل قضى بالعطبِ في الورى فهو دليل التلف
فافتكر ان شئت علم السبب هل يكون النور مثل السدف

* * *

يا رعى الله ذماماً لو يدوم كان للدهر كايام الصبا
اشرقت فيه من العلم نجوم ظن كل الناس ان لن تغربا
زمن قد ضحكت فيه العلوم ونراها اليوم تبكي العربا
حيث منهم فقدت خير ابِ واغتدت من نحبها في شظف
يا عهود الله ما شئتِ انتمي يا عيون المجد ما شئت اذرفي

* * *

هل اتاك الدهر فيما قد اتى بحديثِ العربِ في الاندلس
حيث بالعزم ازالوا العنتا وبنور العلم حجب الغلس
فاسألنَّ الغربَ عما ثبتا في ربوع خلفوها الدرس
لم تجد ثمةَ من لم يجبِ عن معاليهم ولم يعترفِ
آه لو يرجع ماضي الحقبِ بالذي نقرأه في الصحف

* * *

سل ربى بغداد عما قد مضى لبني العباس في تلك الديارْ
واسألن الشام عما قد اضا للمعاويين فيها من فخار
كم ترى للعز سيفاً منتضى كم ترى للعلم فيها من منار
عجبي يا قوم كل العجبِ هذه الاثار لِمْ لا نقتفي
آه من رقدتنا واحربي آه من غفلتنا وا أسفي

✡ ✡
✡

يا أُباة الضيم من عليا نزار اين منكم ذهبت تلك الطباع
كنتمُ كالسيف مشحوذ الغرار والذي حل حماكم لن يراع
كم الى العالم اقمتم من منار بعقول هي اسنى من شعاع
فطفت ابواعكم عن كثبِ كل مجد شاهق المقتطفِ
تلكَ والله مزايا العربِ اورثوها خلفًا عن سلفِ

✡ ✡
✡

انت يا شمس على كر السنين قد تقلبت طلوعًا في الورى
حدثينا بحديث الاولين فلقد شاهدتِ تلك الاعصرا
افكانوا مثلنا مختلفين لا يغيثون اذا الخطب عرا
اننا يا شمس في مضطربِ قد الفناه فلم نأتلفِ
ان بقينا هكذا فاحتجبي عن بني الغبراء او فانكسفي

✡ ✡
✡

يا بني يعرب ما هذا المنام او ما اسفر صبح النوَّمِ
أين من كان بكم يرعى الذمام فيلبي دعوة المهتضم
افلا يلذعكم مني الملام فلقد الفظ حجراً من فمي
خارجًا مع نفس كاللهبِ محرقًا مهجة قلبي الدنفِ
انا لولا قبض دمعي السكبِ لتحرقتُ بنار الاسف

✡ ✡
✡

يا شبابَ القوم لولاكم لما ساغ لي العذب وما ان لذَّ لي

انني أُبصرُ منكم انجما لامعاتٍ في ظلام الاملِ
فاصبروا اليوم على هذا الظما كي تنالوا الريَّ في المستقبل
واتعبوا اليوم فعقبى التعبِ راحة محفوفة بالترفِ
لتقونا اسوأ المنقلب فالبناء اليوم هاري الجرف

* * * *

يا شباب القوم هبوا للبراز فبكم يبسم ثغر الوطن
وارفلوا اما ثوب الاعتزاز او بثوبٍ هو ثوب الكفن
وأعدّوا العلم لا السيف الجراز انه عُدّة هذا الزمن
بسواه العزُّ لم يكتسبِ وهو المنصفُ للمنتصف
انه والله لا عن كذب شرف النفس ونفس الشرف

﴿ شعور الملوك وقت التتويج ﴾

البشر في العواطف والتاثرات والافراح والاحزان في درجة واحدة يستوي فيها الامرآء والفقرآء والملوك والسوقة وليس من فرق بين طبقات البشر الاَّ في هذه الظواهر والسنن والرتب والثروة وغيرها مما فصل بينهم وجعل بعضهم ملوكاً وامرآء وسوادهم سوقة ياتمرون بامرهم وينظرون اليهم كالى غير طينة البشر. والحقيقة هي انهم وسائر البشر سوآء كما تويد ذلك حياتهم وحوادثهم التي تظهر فيها النفس البشرية بكل قوتها وضعفها. وها اننا بمناسبة تتويج الملك جورج الخامس الانكليزي نذكر شيئاً مما شعر به بعض الملوك في تتويجهم — تلك الحفلة العظيمة التي يتالق فيها مجد الملك وتظهر ابهته في اعظم مظاهرها

فمنهم الملكة حنة بولين فقد كتبت الى ابيها على اثر تتويجها ما ياتي : كنت اظن نفسي في حلم لا يلبث ان يلاشيه ضوء النهار فاهبط من سماء الخيال والاوهام

الى حضيض الحقيقة . ومذ حياني حاكم المدينة والشيوخ التحية الملوكية وقاد الدوق نور فولك موكب التتويج الى الكنيسة سالت نفسي مراراً عديدة : احقيقي هذا ؟ ايتنازل الملك الى شخص حقير مثلي ؟ والله يعلم كم ذرفت عيناي من دموع الذهول لا دموع الفرح ..

ومنهم الملك وليم الثالث فقد كتب الى الكونت هوفن كتاباً نقتطف منه قوله : وعندما شعرت بالتاج نازلاً على راسي اعترتني هزة رعب لا هزة طرب فقد شعرت بعظم المسؤولية التي القاها الله على عاتقي فارتعشت ولم انسَ في ذلك الوقت العظيم وطني العزيز هولاندا . ولبثت متاثراً مضطربا الى نهاية الحفلة

وقالت الملكة ماري : زعم البعض ان الفرح قد اخذ مني كل ماخذ فتجاوزت حد اللياقة ونسب اليَّ غيرهم الكبرياء وسوء الاخلاق والطموح الى العرش غير انهم لم يصيبوا في زعمهم لاني وانا نائبة عن الملك لم تكن نفسي لتطمح الى رتبة اعلى وقد آثرت رتبة النيابة على رتبة السلطنة مع انني لم اكن لاخشى رتبة السلطنة غير ان المصلحة العامة هي التي حملتني على قبول العرش ولقد عانيت من المشاق في تسنمي العرش الملوكي اكثر بكثير من كل مشقة في اضنك حالات الفقر . . . اني اتوق الى العزلة واحتاج الى كل ما يحتويه العالم من انكار النفس والخضوع لاستطيع احتمال حالتي الحاضرة

وقالت الملكة حنة في ثاني يوم تتويجها : قاسيت امس آلاماً مبرحة مع ان اللورد جرسي بذل جهده ليريحني من متاعب الوقوف مدة طويلة . وقد كاد تاثري يتغلب علي اثناء التتويج

وكان الملك جورج الرابع في اثناء تتويجه مشتغل الذهن بالملكة شارلوت الى حد انه خشي قدومها وقتئذٍ لئلا تعكر عليه صفاء آماله ولذا كان في كل هنيهة ينظر الى ما حوله كالمذعور . وقد كتب الى صديقه الماجور انتالدي قائلاً اني لا اريد ان اقاسي عناء ذلك النهار ثانيةً ولو منحت مملكة اخرى

وقالت جوزفين زوجة نابوليون بونوبارت : بعد ان مسح نابوليون بزيت المسحة

ووضع التاج على راسي اضطررت ان اجيب على التهاني التي قدمها الي اهل البلاط ثم غرقت في بحر من الافكار المزعجة ولم انتبه الا على صوت زوجي يقول لي : يا للعجب . اتبكين ياجوزفين ؟ افلا تشعرين بفرح من يلتمس منك الحب المخلص له . او لا تشاركينهُ في فرحه ؟ .. ثم تذكرت بمزيد الاسف اياماً حلوة صرفتها في ماالميزون . تذكرت منزلي الجميل في كنترين ستريت واخذت اقابل بين حالتي الماضية وحالتي الحاضرة فشعرت بعبءٍ ثقيل وتاقت نفسي الى تلك الحرية التى كنتُ متمتعة بها في الزمن الماضى — تلك الحرية التي لم يعد في يدي ان استردها ... وبعد بضعة ايام كتبت جوزفين ما ياتي : قد بلغت ذروة العظمة . الطبيعة تبتسم لي وزوجي ذو قوة ليس بعدها قوة . ولكن واسفاه ان كل هـذا سيزول كحلم ... سيكون سقوطي عظيماً لان منزلتي رفيعة .. هل استحقت ماري انطوانت ذلك العقاب ؟ .. عندما يخطر ذلك لي اشعر بارتعاش قوي . يتعبني قصر التويلرى ويخيفني . لاني اخشى ان يخرجوني منه بالرغم عني .

وقالت الملكة فيكتوريا جدة الملك جورج الحالي : اني كنت متاثرة عندما وضع التاج الملوكي على راسي فشعر اللورد ملبورن بذلك ورمقني بنظرة ابٍ لا انساها وكنت اسمع اصوات الطبول والابواق والبنادق والمدافع فيزيد تاثري . ولما جلست علي اريكة الملك وجاء الاشراف واحداً واحداً يمسون التاج ثم يقبلون يدى وجاء دور اللورد ملبورن هتف الجميع هتافاً عظيماً ولما قبل ملبورن يدي ضغط عليها فقبضت على يده ونظرت في وجهه فاذا الدموع تجري من عينيه . ولما انتهت حفلة التتويج في الكنيسة خرجت والتاج على راسي والصولجان والكرة في يدي وسرت والشعب على جانبي الطريق يزدحم ويهتف لي . . ساذكر هذا اليوم بافتخار .

وقالت الملكة فيكتوريا في يوم تتويجها غير هذا مما لا نذكره حبَّ الاختصار

فوءاد شطارة



منثورات

﴿ حكم ونوادر عربية ﴾

رُوي ان الحسن بن هاني الشهير بابي نواس قال استقبلتني امرأة في هودج على بعير ولم تكن تعرفني فاسفرت عن وجهها فاذا هو في غاية الحسن والجمال فقالت لي ما اسمك . فقلت وجهك . فقالت الحسن اذاً

✲

لبعضهم :

شكوتُ فقالت كل هذا تبرماً
بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمتُ الحبَّ قالت لشدَّ ما
صبرتَ وما هذا بفعل شجي القلبِ
وادنو فتقصيني فابعد طالباً
رضاها فتعتدُّ التباعد من ذنبي
فشكواي توذيها وصبري يسوؤها
وتجزعُ من بعدي وتنفرُ من قربي
فياقومُ هل من حيلةٍ تعرفونها
اشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

✲

قال الرشيد لجعفر بن يحيي في سفرة له الى الرقة اعدل بنا عن غبار العسكر . فمالا عنه . فاصاب الرشيد جوع شديد فعدل الى خيمة اعرابي فاستطعم فاتاه بكُسيرات خبز يابس فقال جعفر لقد تبذَّل الاعرابي فيما قدَّم . فقال الاعرابي مهلاً ويحك فان الجود بذل الموجود اما سمعت قول الشاعر :

الم ترَ ان المرأَ من ضيق عيشه
يُلام على معروفه وهو محسن
وما ذاك من بخل ولا من ضراعة
ولكن كما يزمر له الدهر يزفن

فقال الرشيد صدق الاعرابي واحسن ثم امر له بعشرة آلاف درهم

✲

قال بعضهم خرجت في الليل لحاجة فاذا اعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج فلم يزل يمشي حتى اتى النهر وملا جرته وانصرف راجعاً فقلت يا هذا انت اعمى والليل والنهار عندك سواء فلمَ حملت السراج . فقال يا فضولي حملته لاعمى القلب مثلك يستضيء به فلا يعثر بي في الظلمة فيقع

علي فيكسر جرتي. فكانه القمنى الحجر

اشواك ورد

يقول العارفون ان العريس لا يهمهُ الا العروس. اما هي فلا يهمها الا العرس

متى رايت رجلاً يحاول تصغير قدر آخر فاعلم بان الآخر اكبر قدراً منه

الانسان اخترع كل الاشغال ما عدا السياسة. فهي من اختراع الشيطان

بين الامهات من اذا طرق بيتها لص اقسمت انه جاء ليخطب بنتها

الحياة هي الاكل واللبس والحب والسعادة والمال يشتري الاكل واللبس فقط (الحارس)

محاربة الذباب

لم يكد يتحقق العلماء مضارّ الذباب في نقل العدوى حتى اخذوا في محاربته فاعلن الدكتور هور نادي رئيس مسرح الحيوان في بروكس بارك بنيويورك وجوب ابادته بقتل ذباب المنازل والبعوض ونحوهما من الهوام المنزلية. فتشكل في وشنطون جند من الغلمان يرأسهم شبان يديرون شؤونهم ويدفعون لهم على كل مئة راس ياتون بها من اولئك القتلى اربع سنسات (نحو ثمانية مليمات) وهم يشتغلون في ذلك بنشاط (الهلال)

اكتشاف مدينة

اكتشف في الحبش آثار مدينة ظنّ انها كانت عامرة قبل ميلاد المسيح بالفي سنة منها اطلال هيكل للشمس. والمظنون ان هذا الهيكل هو الذي ذكره هيرودوتس المورخ اليوناني. ولعل هذه الاثار اثار مدينة ميروي. وليس في الحبش في هذه الايام مدينة كبيرة لكنها لم تخلُ في العصور الخالية من المدن العظيمة الكثيرة السكان (النشرة الاسبوعية)

الملك الصياد

اشتهر جورج الخامس ملك الانكليز بتفننه ومهارته في الصيد بحيث لا يجاريه بذلك الا افراد قلائل من اشهر صيادي العالم. ومن الماثور عنه انه من كل مئة طلقة يخطىء في عشرين فقط. وهو يحب ان ينفرد عن بطانته في اثناء الصيد ويتوغل في البراري والغابات. وكثيراً ما شوهد عائداً الى قصره يحمل صيده بنفسه. وفي ايلول الماضي اصطاد الملك في يوم واحد ١٧٧ ديكاً برياً

من كل نبع قطرة

✦ عدد السوريين المهاجرين في اميركا واوستراليا نحو نصف مليون اي نحو ربع سكان سوريا

✦ ثمن جواهر التاج الذي يلبسه ملك انكلترا في حفلة التتويج ثلاثمئة وستون الف ليرة

✦ يقدّرون ان ما تنفقه الحكومة الانكليزية والبلاط الملوكي في اعياد التتويج نحو عشرة ملايين فرنك

✦ يتوّج ملوك انكلترا في كنيسة وستمنستر وهي من افخم كنائس الانكليز واقدمها . شرع في بنائها الملك ادورد المعترف سنة ١٠٥٠ وتمّ بناؤها سنة ١٠٦٥ . واول من توج فيها الملك وليم الظافر سنة ١٠٦٦ . ثم تتوّج فيها كل ملوك الانكليز وملكاتهم

آثار ادبية

= المحروسة الاسبوعية =

منذ اوائل حزيران الماضي شرع حضرة الصحافي الكبير الياس افندي زياده صاحب جريدة المحروسة اليومية المشهورة في اصدار عدد خاص من جريدته اسبوعياً توصلاً الى خدمة الاداب والمدنية في القطر السوري خصوصاً وقد عين قيمة اشتراكها السنوي ١٥ فرنكاً . وفيما عهد القراء من شهرة المحروسة وحسن اسلوبها وغزارة مادتها وفائدتها ما يغني عن اطرائها والثناء على همة صاحبها الفاضل . فنشكر لحضرته غايته النبيلة من هذه الخدمة الشريفة ونتمنى لجريدته دوام الانتشار والنجاح

= ثلاثة كتب =

الاول — كتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين . الثاني — الكون والمعبد اوالفنون الجميلة والكنيسة . الثالث — النخبة من امثال فنلون

الفها نثرا ونظماً حضرة العالم الفاضل الخورفسقفوس جريس شلحت السرياني الحلبي صاحب مجلة الورقاء الغراء وضمنها كل ما تشوق مطالعته من الحكم والاداب الرائعة والمطالب المهمة فنرجو لمؤلفاته كل اقبال وانتشار

تنبيه — جاء في الجزء السابق صفحة ٢٧٩ سطر ٥ «تسويد صفائحهم» وصوابه «تسويد صحائفهم» وفي هذا الجزء صفحة ٣٠٨ سطر ٢ «افق» وصوابه «فوق»